# الخلائقية

د هاني البنا

2008

**صفحة المحتويات**


1. مقدمة
2. لماذا "خلائقية" وليست "إنسانية"؟
   2.1 لماذا خلائقية؟
   2.2 ما معنى كلمة "المخلوق"؟
   2.3 هل نحن ملمون بأبعاد النظام الكوني الخلائقي الشمولي الرباني؟
3. النظام العالمي
   3.1 النظام الذي تدور من حوله الحياة
   3.2النظام العالمي الجديد
   3.3 ما علاقة الإغاثة الإسلامية بالنظام العالمي الجديد والإنسانية أو الخلائقية؟
4. خاتمة

## 1. مقدمة

**07:17am, Home, Thursday, 14.02.08**

دعيت لإلقاء بضع محاضرات في جامعة مينيسوتا عن الإنسانية والدور الذي يلعبه العامل الديني في تسيير المؤسسات الإنسانية والعلاقة بين العمل الإنساني والنظام العالمي الجديد.

وحاولت أن أجمع أفكاري لطرحها بصورة موضوعية على من سوف يعينه الله سبحانه وتعالى على سماعي من جهة وعلى قيمة المادة التي سوف أطرحها عليهم من جهة أخرى.

فأنا كثيراً ما أكره أن أكرر ما أقول في أماكن مختلفة إلا إذا كانت فكرة أريد نشرها أو مؤسسة أريد الإعلان عنها أو رسالة أريد الناس أن يؤمنوا بها، ولكني مع كل هذا أحاول أن أعرض هذه الأفكار والمؤسسات والرسالات بطرق مختلفة تتماشى مع عقليات وثقافات السامعين.

وحاولت أن أبدأ كتابتي لهذه الكلمات أو هذه الأفكار أثناء رحلتي إلى سويسرا لحضور لقاء مجلس إدارة الإغاثة الإسلامية وحاولت أن أكون مجتهداً وأنا محلق بين السماء والأرض ولكني شعرت أن قلمي يقاومني لأنه شعر بأن الطريق الذي تسير فيه خطوطه غير سليمة، وشعرت بهذا الصراع بين القلم والعقل، وتوقفت يداي عن الكتابة بعد أن خط قلمي أكثر من خمس صفحات، لأبدأ معكم من جديد.

ودارت حوارات بيني وبين الأختين فاطمة ووفاء واستعنا بالأخ عيد المترجم لكي أستطيع أن أضع بعض هذه الحروف المتصارعة على رقائق الصحف كي يراها من لم يستطع سماعها لشدة وضوحها.

وتذكرت المحور الذي أريد أن أدخل منه على السامعين في صباح يومي هذا وبعد أن انتهيت من أداء فريضة الفجر تذكرت الكلمة التي قالها السيد هيوجو سلم أستاذ الإنسانيات بجامعة أكسفورد أثناء مشاركتي له في إلقاء محاضرة في مؤتمر ICVA في جنيف قبل ثلاث سنوات حينما قال بأني دائماً ما أحضر "الله" معي عندما أتحدث إلى الناس، وأخذتها على أنها مديح لي وشكرته على ذلك.

وشعرت وأنا أكتب اليوم أن هذه حقيقة واقعة، والواقع هو ما نراه حتماً ولكن الحقيقة هي التي لا نريد أن نراها في كثير من الأحيان، وتأملت فيما قاله لي السيد هيوجو وقلت لنفسي "لم لا؟!" بل بالعكس إن الله هو الذي يأتي بي ليضعني حيث يشاء بفضل وعطف ولطف ورحمة منه علي وعلى السامعين.

فلابد على الذاكر أن يذكر صاحب الفضل عليه في الدنيا والآخرة وهو الله سبحانه وتعالى، كي يرفع المذكور الذاكر في عليين وليبارك في سماع السامعين لذكر الله سبحانه وتعالى.

ويسأل المرء منا نفسه "وما دخل كل هذا بما سوف تلقيه من محاضرات في جامعة مينيسوتا؟"

وأرد قائلاً بأن الإنسان مشاعر والكتابة هي التعبير الصادق عن هذه المشاعر في لحظات انفعال النفس بها، فإن استطاعت النفس أن تصدق في ترجمة حقيقة الانفعالات الشعورية في كلمات معبرة لاهتزت لها أفئدة وعقول السامعين، وإن أخفقت النفس عن ترجمة هذه التعبيرات الصادقة لأصبحت هذه الكلمات عرضة للنسيان.

وقد يقول قائل أن هذا ينفع في الكتابات الأدبية وليس في الكتابات الحرفية. وأقول نعم لقد صدق هذا القائل، ولكن الكتابات الحِرَفية دائماً ما تخرج من غير روح معبرة تترجم أحاسيس نظرياتها فسيصعب على العامة قراءتها وستبقى عالقة فقط في أذهان وأفئدة الخاصة من الحرفيين. أما إن غلفت هذه

الكتابات الحِرَفية بغلاف أدبي لأصبحت هذه النظريات الجامدة شدواً تشدوا به الشعوب والمجتمعات. والآن دعونا نقف هنا ولنرجع الآن إلى فاطمة ووفاء وعيد ومينيسوتا.

لقد فكرت وأنا أتحدث عن الإنسانية أن أتحدث عن تعريفنا إياها مرة أخرى، فلقد ذكرت منذ ثلاث سنوات في مؤتمر نادي مدريد لمحاربة الإرهاب تعريفاً للإنسانية قلت فيه أن الإنسانية في نظري تنسب إلى الإنسان لأنه هو قائدها، فالإنسان هو قائد هذا العالم وهو الذي كلفه الخالق تكليفاً وتشريفاً له بقيادة هذا العالم والمحافظة على مقدراته ومراعاة كافة خلائقه وتنمية موارده الطبيعية والبشرية.

فالإنسانية بالنسبة لي في تعريفها هي نسبة هذا العالم الفسيح إلى قائده الإنسان، والإنسانية تشمل كافة الخلائق التي خلقها الله سبحانه وتعالى عوناً للإنسان فهو لا يستطيع العيش إلا بها، وإن عاشت هي في كثير من الأحيان بدونه.

إذن فالإنسانية وأعمالها ليست قاصرة على بني البشر فقط بل هي شاملة جامعة لكل من خلق الله سبحانه وتعالى وأبدع حتى وإن لم نعلم بهم، كي لا تحصرها عقولنا في مجالاتها البشرية ضيقة الأفق وأحادية المدارات.

والإنسانية في مفهومها العصري قد تُفسَر بقيمة الأعمال التي يقوم بها الإنسان من أجل خدمة أخيه الإنسان.

وقد تحدث هذه الأعمال في صورة فردية انفعالية عاطفية فطرية تلقائية لأنها من فطرة البشر التي فطرها الخالق سبحانه وتعالى فيه. وهي تكون كرد فعل لما يسمعه المرء أو يشاهده في حالات الكوارث والمصائب التي تصيب العالم، وقد تظهر أيضاً بصورة فردية أخرى ولكنها أكثر تنظيماً في حالات محاربة الفقر والمرض والإدمان والجوع لأن الاستجابة لهذه الآفات قد يحتاج في غالب الأحيان للتفكير والتشاور وتجميع القوى، فيبرمج لها الإنسان خطوات سيرها.

ولقد تطورت هذه الأعمال الفردية الانفعالية إلى أعمال جماعية أكثر تنظيماً لشدة حاجة المجتمعات لها، فتشكلت ما نسميه اليوم "منظمات المجتمع المدني" الخيرية وغير الحكومية التي تتصدى لهذه النوازل أو المنظمات والإدارات الحكومية التي تعني بالأعمال الإنسانية الاجتماعية من خلال تخصصاتها.

وكل هذه الأعمال إنما تبرز قيادة الإبداع العطائي للإنسان للمجتمعات التي يعيش فيها، فتخرج هذه الإبداعات القيادية في صور عدة منها التي تعني بالإنسان - في غالبيتها- والقلة منها تعني ببقية المخلوقات والبيئة، وذلك لكثرة العقد التشابكية المجتمعية داخل القواعد الشعبية الجماهيرية المتباينة.

## 2. لماذا "خلائقية" وليست إنسانية؟

### 2.1. لماذا خلائقية؟

فالإنسانية بتعريفها المرتبط بالإنسان تجعل المرء منا يغفل عن باقي الخلائق التي خلقها الله سبحانه وتعالى لتكون شريكة لنا على ظهر هذه المعمورة وتكون لنا معينة وخادمة لنا. فعلى الإنسان ألا يغفل عن هذه الخلائق وأدوارها الخلاَّقة المكملة لدوره في إدارة عجلات أمور هذه الحياة.

والخلائق في نظري لا تعني فقط الكائنات الحية كالطيور والحيوانات والحشرات والأسماك، ولكنها تشمل كذلك الجمادات كالبيئة وما فيها من مكونات مختلفة كالجبال والبحار والمياه.

فلذلك فإني أرى أنه يجب علينا أن نوسع مفهوم الإنسانية الذي قد يؤدي قصور النظر في تعريفها وقصرها على الإنسان فقط على التأثير سلباً على أداء أعمالنا. فعلينا أن نوسع المفهوم إلى حدود تتعدى آفاق الفكر الإنساني وندخل به في آفاق ومحيطات فكر الخالق الخلائقي. فنطلق عليها جميعاً "الخلائقية"، وذلك لأسباب عدة منها أن المخلوقات الحية مثلاً تعيش داخل مجتمعات تأكل وتشرب وتتزاوج وتخطط وتعمل، وتساعد بعضها في أعمال لا نعيها نحن ولكنها داخل منظوماتها الخاصة به، تعمل بطريقة فردية أو جماعية - بما يشبه ما نسميه نحن الآن "المجتمع المدني"- ولها أعمال مخصصة وموزعة بينها في الحصول على الرزق والدفاع عن مجتمعهم ووضع الخطط للمحافظة على الأمن الداخلي. فهي كما قال الله سبحانه وتعالى عنها في قوله "أمم أمثالكم". فماذا نسمي هذه الأعمال التي تقوم بها هذه الخلائق؟ هل نسميها "الحشراتية أم الحيواناتية أم الطيوراتية؟" أم أن هذه الأعمال الفطرية التي يشترك في عملها كافة الخلائق التي خلقها الله سبحانه وتعالى والتي لا يستطيع المخلوق العيش من دونها تسمى "الخلائقية" نسبة إلى الخالق والمخلوق؟

فالخالق هنا هو المانح للحياة والمخلوق هو السائر في دروب هذه الحياة والميسر لأمورها. وبهذا نخرج من ضيق الأفق الفكري الإنساني إلى سعة الأبعاد الملكوتية الربانية التي لا تحدها أبعاد الفكر البشري القاصر.

والذي يحزنني في التسمية "الإنسانية" هو إغفال الإنسان للأدوار العظيمة التي تقوم بها كافة الخلائق الأخرى التي تفوق بكثير أعداد بني البشر، والتي في كثير من الأحيان يهملها الإنسان فيقضي على أدوارها، هو القائد، بجشع أو بجهل أو سوء فهم أو سوء تخطيط. ويظهر هذا واضحاً في التلوث البيئي واقتلاع الأشجار والقضاء على الموائل الطبيعية واستعمال شركائنا في الحياة من الحيوانات استعمالاً في استغلال أحادي الفكر جامد الأداء عقيم الإنتاج، كي يتزين به البعض أو يزين به جدران منازلهم أو يتلذذ بطعامها من غير المحافظة عليها من الانقراض.

**08:20am, Office, Friday, 15.02.08**

هذه الأدوار المتوازية والمتكاملة ذات الأهمية القصوى -حتى وإن صغرت- والتي لا تستطيع أن تكتمل دورة الحياة الخلائقية إلا بها، لأنها تسير حسب نظام خلائقي وضعه لها الخالق سبحانه وتعالى. فقد جعلها الخالق سبحانه وتعالى متكاملة مع غيرها من الكائنات وفق ناموس الحياة الخلائقية الربانية، التي وضع الخالق في مركزها الإنسانَ ليفهم ناموس الحياة ويحافظ على مقدراتها وينمي قدراتها ويفجر طاقات خلائقها ويمنع عنها الكوارث ويكتشف فيها العجائب ويسعد معه فيها الخلائق. فهو المرشد والموجه والمنمي والقائد والحكيم والمفكر والمدبر ولكن كل هذا وفق ناموس حياة الخلائق الذي وضعه الخالق سبحانه وتعالى.

ولكن الذي يحزنني هو أن الإنسان قد فقد الدور القيادي الريادي المكلف به من قبل الخالق سبحانه وتعالى، لأنه بدلاً من أن يفهم مركزيته لقيادة الخلائق فهم خطأ أن دوره هو قيادة الخلائق التي تخدم مصلحته فقط!! ووضع نصب عينيه الأولوية الإستراتيجية في الحفاظ على نفسه. وأصبح ممسكاً بأسواط يدير بها عجلات الحياة الخلائقية حوله يضرب بها الخلائق لكي تجر عربة الحياة، غير مدرك أنه مع كل ضربة يقتل خلائق لا يراها بعينه أو لا يرى لها أهمية وفائدة له.

وهذا يرجع إلى أمور عدة منها الجهل ومنها الأنانية ومنها إيجاد ناموس آخر للحياة وضعه الإنسان بنفسه عوضاً عن الناموس الذي تسير به الخلائق ووضعه لها الخالق سبحانه وتعالى.

## 2.2ما معنى كلمة "المخلوق"؟

نحن جميعاً نعرف المعنى التعريفي لكلمة مخلوق. وقد نختلف وقد نتفق على معنى كلمة "الخالق" ولكن هذا ليس معرض حديثنا اليوم، فلينظر كل منا إلى كيفية استخدام هذه كلمة "مخلوق" في اللغة العربية أو في اللغات الأخرى، فنراها تستخدم كوسيلة للاحتقار وتصغير الشأن والازدراء.

وقد يستعملها البعض حين التحدث عن مخلوق لا يعرف وصفه ولا يعرف طبيعته، أو قد تستخدم عند وصف عجيبة من عجائب الخلق التي وضعها الخالق سبحانه وتعالى فيها، ولكن الشائع هو استخدامها بمعنى التجاهل خاصة إذا تعاملنا مع أناس لا نسعد بصحبتهم!

وهذا هو الإسقاط الحضاري الحديث لاستعمال كلمة مخلوق والتي أصبح الإنسان يستعملها لوصف للمجهول أو المستصغر المستحقر، وهو ما يعكس - في نظري- حقيقة تعاملنا مع مستصغر المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى لتقوم بأدوار مهمة ومكملة لدور الإنسان.

**,07:25:00Home, Saturday, 16.02.08**

## 2.3 هل نحن ملمون بأبعاد النظام الكوني الخلائقي الشمولي الرباني؟

وهنا لابد أن ندخل مفهوم معرفتنا في دوائر الإدراك، ونضرب بذلك الأمثلة في معرفة عدد أوراق الشجر وعدد قطرات المياه وظواهر الرياح والبراكين وحركة الشمس والقمر، وعدد الحيوانات والحشرات والأسماك والرخويات. كل هذا العلم بالنظام الكوني قد يعرفه البعض منه بعضنا منا ولكن لا يوجد منا من لديه المعرفة الكاملة الشاملة لكل ما يحدث في العالم، فهل نستطيع أن نتحكم في دورات الأفلاك والمجرات والنجوم والشموس والأقمار وعلاقة تلك الأجرام بالظواهر الكونية الأخرى مثل المد والجزر وهجرة الطيور والطحالب وألوان النباتات ولون بشرة الإنسان؟؟

كل هذه وغيرها من المعلومات والغيبيات تسير وفق نظام متكامل متجانس يمهد لحياة الإنسان على ظهر المعمورة حتى يحيى حياة كريمة سهلة وميسرة، ودور الإنسان هنا يتبلور في أربعة محاور:

### الأول: قيادي

لابد للإنسان من أن يدرك أنه قائد هذه الكوكبة الخلائقية، فهو الذي يتحمل أعباء إيجاد حلول لكل مشكلة تصيب أحد أفراد الكوكبة الخلائقية، فعليه أن يعطي أكثر مما يأخذ ويبذل أكثر مما يركن.

والإنسان القائد لابد أن يتمتع بحكمة سيدنا سليمان عليه السلام الذي جعل في مجلسه الهدهد وحوّل طريق جيشه حتى لا يهدم بيت النمل عندما سمع النملة وقد يقول البعض أن سليمان عليه السلام كان نبياً أوتي ما لم نؤت من فهمه منطق الطير والحشرات، ولكن الله سبحانه وتعالى ضرب لنا هذه الأمثلة لنتعظ منها ونحذو حذوها وفق ما أتاه لنا من عقل وحكمة يناسب دورنا المعطى لنا في هذه الحياة والمتمثل في قيادة الخلائق.

**الثاني: الرعاية**

وإن كان الدور القيادي يتمتع بالمخاطرة والصرامة والقوة، فدور الرعاية يتمتع بالعطف والحنان واللين، فلابد للقائد من الحزم ولابد عليه أن يكون في الوقت نفسه ليناً "فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" والرعية هنا ليست الأسرة أو القبيلة أو العائلة أو الوطن، بل الرعاية هنا تشمل كافة الخلائق وهذا ما تمثل في قول عمر بن الخطاب حين حمل نفسه المسؤولية لو تعثرت بغلة في العراق، ويظهر في ذلك مسؤوليته القيادية لتعبيد الطرق لكافة الخلائق المجتمعية والمثل الآخر مسؤولية رعايته الحانية للبهائم والطيور كما يرعى أبناء جنسه من بني البشر، فكان من جاء من بعده عمر بن عبد العزيز بأمر نثر الحبوب على قمم الجبال كي تأكل منه الطير وغيرها من الكائنات. وهذا ما أسميه بالرعاية الإيجابية الشاملة، فهي إيجابية لأنها جزء لا يتجزأ من المسؤولية وشاملة لأنها شملت كافة الخلائق.

**ثالثاً: التوجيهي**

وهذا لتميز الإنسان عن كافة الخلائق بالعقل والعلم الذي لم تصل إليه بقية الخلائق. ولكن على العلم والمعرفة أن يكونا إيجابيين أيضاً، والعلم والمعرفة الإيجابيين هما اللذان يبنيان المجتمعات ويحافظان على مقدرات الحياة.

والإيجابية فيهما تعني أيضاً القدرة على العطاء والبذل والإثمار المتكامل، وليس الإثمار الأحادي الذي تستفيد منه جهة دون أخرى. فهذا العلم وهذه المعرفة هي التي ستجعل الإنسان القائد الراعي قادراً على توجيه سبل حياة كافة الخلائق إلى خير ما يحبه الخالق سبحانه وتعالى ويرضاه.

**رابعاً: التكاملي**

ولابد للإنسان أن يؤمن بأن دوره يتكامل مع دور كافة الكائنات. سواء تلك التي يعلم عنها أو تلك التي لا يعلم عنها شيئاً، فهو لا يستطيع الانفراد بقرار أحادي في إنماء وتطوير وتغيير الحياة دون أن يأخذ بعين الاعتبار بنتائج قراراته هذه على بقية الخلائق. وهو ما نسميه في المجتمعات "بالديمقراطيات المعرفية" القائمة على مبدأي الاستشارة والعلم بأحوال المجتمع.

فبعض ما نقوم به لتنمية مجتمعاتنا ينتج عنها آثار سلبية على خلائق أخرى. فنرى أحادية الفكر عند شق الطرق وسط الموائل الطبيعية أو عند إجراء التجارب النووية وبناء ناطحات السحاب واستخدام الوقود وتلويث البيئة.

إن ما نقوم به الآن في تطوير مجتمعاتنا لا يتكامل في دوره مع ما تقوم به كافة الخلائق من أجل خدمة الإنسان وفق الناموس الذي وضعه الخالق سبحانه وتعالى للمحافظة على إدارة عجلة الحياة الخلائقية بقيادة الإنسان بحكمة تساعد على استمرار بقاء الجميع.

**التكاملية التعددية ( Diverse Complementarily )**

إن الجميل في الكون وفي تركيبة الخلائق هو العزف السيمفوني الرائع المتكامل التعددي التي تعزفه لنا أوركسترا الخلائق الكائنة في أبعاد الكون بتعدادياتها التكاملية لتخرج علينا بهذه السيمفونية المعزوفة بأيادي هذه الخلائق المتكاملة في الأداء بتواجد أصغر آلات العزف الخلائقية بين أوتار هذه المعزوفة السيمفونية الخلائقية.

فالخلائقية تعزف، والأوتار تسبح، والأنغام تطير والملكوتات تتكامل تعدديات أدوارها وفق الدور الذي يقوم به الموسيقار العالِم بدور كل وتر وكل آلة وكل حرف وكل عازف معه في هذه المعزوفة السيمفونية وكذلك وفق قاموس "النوتة" المكتوبة أمامه والتي ينظم من خلال أحرف أسطرها ألحان هذه المعزوفة السيمفونية، ونحن نؤمن جميعاً بأن موسيقار هذه المعزوفة هو الإنسان. وأن صاحب هذه المعزوفة السيمفونية التي تيسير وفق هذا الناموس الدقيق المتشابك هو خالق الإنسان وخالق هذه الخلائق وهذا العالم بخصائص كل حرف مكتوب في النوتة الموسيقية وقدر كل وتر تُعزف عليه أشجان القصائد السيمفونية الخلائقية وكذلك آفاق الفلسفة الفكرية لكل عازف خلائقي يمسك بكل آلة مصنوعة له حسب قدرات الآلة وحسب قدرات العازف.

فصاحب هذه المعزوفة هو الذي يجد الأدوار حسب آفاق علمه وأبعاد سعة قدراته التي وضعها داخل كل عازف وكل آلة وكل وتر. ولا تكتمل هذه المعزوفة بغياب الإنسان أو بغياب الموسيقار أو بغياب العازف أو الوتر أو الآلة، وإن غاب أحد هذه المكونات لاختلت المعزوفة السيمفونية ولأصبحت شيئاً آخر قد تصيب سامعها بالصمم.

## 3. النظام العالمي

**06:32am, Home, Monday, 10.03.08**

### 3.1.المنشأ والمرجعية

قد يختلف المرء منا في منشأ الحياة ومنشأ الأكوان، وفي نشأة المقدرات وأصول سبل المسالك والدروب التي تسير عليها الخلائق كافة، منا من يرجعها إلى إله قد يختلف الجميع في تفسير صورة القائم عليها والماثلة في أعماق أفئدتهم الإيمانية، يحدد لهم آفاق الحدود التي ينتهي إليها المنشأ والمرجعية المرسومة لإدارة خلائقية الأكوان مجتمعة ميسرة ومسيرة في نفس الوقت.

وقد يرجع البعض الآخر هذا المنشأ إلى "الطبيعة" والتي كثيرا ما يدمرها الإنسان إما بجهله أو بعناده أو بسلبيته الأنانية، والتي تحدد مسار الخلائق المكونة للكون والتي تسير حسب ناموس طبيعي تسيّره وتسير على دروبه الطبيعة التي خلقت الإنسان وكافة الخلائق كما يزعمون ووضعت للجميع الأنظمة الدقيقة المتكاملة والتي من خلالها تسير عجلة كوكبة الحياة الخلائقية.

وقد يرجع البعض الثالث هذا المنشأ إلى فراغ تتحرك فيه الأكوان وفق توافقات تكاملية متشابكة تسير وفق ناموس متناسق ومحدد يسيّر بعضه البعض ويكمل الفراغات الناقصة دون اللجوء إلى مرجعية إله أو طبيعة.

وقد يرجع البعض الآخر إلى تأويلات ترددية غير ثابتة تتغير في تفسيراتها هذه حسب الحاجة وحسب الرغبة، فتتغير بها تأويلاتهم وتفسيراتهم للكون والخلائق.

وهناك غيرها من النظريات التي يشطح بها الفكر الإنساني والتي أعجزت الخلائق كافة عن فهمها. فإن أردنا أن نوقف هذه الشطحات فلابد علينا من تحديد المنشأ والمرجعية. فإن كان المنشأ هو الإنسان فقد تصبح المرجعية هي الإنسان وكذلك الحال في الإله والطبيعة والفراغ وخلافها من النظريات. فدعونا ننظر إلى المنشأ الإنساني والمرجعية الإنسانية التي وضعها الإنسان لنفسه لنرى ونحكم على ما وصل إليه العالم بخلائقه المتعددة من مرجعية هذا المنشأ. وإلى ما آل إليه الحال من إفساد وإتلاف وهلاك بسبب هذه المرجعية وبسبب هذا المنشأ.

ولم يكتف الخالق بخلق السماوات والأرض بل خلق فيهما الخلائق والتي كلها مسخرة من اجل خدمة الإنسان. ولقد ميز الخالق الإنسان بالعقل والحكمة ليصبح قائداً للخلائق. ولقد أرسى الخالق قواعد استمرارية حيوات الخلائق على ثلاث مبادئ مهمة وأساسية، وهي القيادة والمركزية الوسطية والمرجعية والتي من خلال إقامتها نستطيع أن نزن أمور الحياة بميزان العدل.

واستمرت الحيوات المتعددة على ظهر المعمورة لآلاف السنين قبل نزول الإنسان من السماء إلى الأرض حتى يقود خلائقها وفق هذه الأسس الثلاث، فلم يوجد ولم ينزل الإنسان على ظهر المعمورة هباء بل نزل لحكمة يعرفها الخالق وهي قيادة كافة الخلائق عليها. ومن هنا تظهر نظريتين متماثلتين ولكنهما متضادتين لاستمرار الحياة، هما نظرية التواصل الحياتي المتكامل، والأخرى هي نظرية الإبادة والإمحاء وكل منهما قائمة على هذه القواعد الأساسية الثلاث (القيادة، المركزية الوسطية، المرجعية) واللتان من خلال تطبيقاتهما الصحيحة أو الخاطئة قد يؤدي إلى اتباع إحدى هاتين النظريتين.

ثم نخرج من المنشأ والمرجعية إلى التحدث عن منشأ الإله - وإن اختلفنا في صفة هذا الإله- وحدود علمه وآفاق أبعاد قوانينه ونواميسه الكونية لنقارنها بآفاق وأبعاد نواميس القوانين الإنسانية. ولنقف جميعاً أمام هذه المقارنة -والعياذ بالله- التي تخدم التكاملية التعددية والسخرة الأحادية الإيجابية ونضع فوق حروفها نقاط الحلول.

هذه ليست دعوة مني للإيمان بالإله الخالق بل هي دعوة مني للحصول على الحقيقة. حقيقة المنشأ وحقيقة المرجعية. وسوف أترك لفكركم وأفئدتكم وعقولكم الإجابة على هذه الأسئلة مسترشدين فيها بمدى ما وصلتم إليه من علم وحدود آفاق هذا العلم وأبعاد آفاق العلم اللدني الذي يتمتع به الإله دون تمييز، لأني في قرارة نفسي أؤمن بالإجابة التي توضح الحقيقة التي نبحث عنها وهي ماثلة بين أيدينا وأمام أعيننا.

**نظرية المحو الإبادي القطعي:** Extinction or Extension?

أتكلم عن نظرية الخلق التي وضعها الله لخلق الحيوات الخلائقية والتي خلق فيها الإنسان الذي ميزه بالعقل والحكمة وخلق معه الشيطان الذي ميزه بالغواية والمعصية. وقد خلق الله العقل للإنسان لكي يميز ويختار. فكان أن اختار آدم وحواء عليهما السلام سماع كلام إبليس الذي أخرجهما من الجنة حين اتبعا رغبتهما الشخصية وحصل الأمر نفسه في قصة قابيل وهابيل حين جعل قابيل المرجعية والخيار لنفسه. فقامت قاعدة نظرية المحو الإبادي القطعي على قاعدة المرجعية التي جعلها الإنسان في نفسه المذبذبة والتي كثيراً ما تأمر بالسوء. وهذه النظرية ترى أن القائد الحقيقي والشرعي للخلائق على ظهر هذه المعمورة هو الإنسان العاقل المميز الذي حاباه الخالق بالعقل والعلم والحكمة. وهذا أمر مسلم لا خلاف فيه أبداً.

ونجد أن الأساس الثاني هو المركزية والوسطية المطلقة، فمن الطبيعي أن يكون الإنسان هو المركز الوسيط لكافة الخلائق باعتباره قائدها ولكنه من الخطورة أن يغفل الإنسان عن دور كافة الخلائق التي خلقت من أجل خدمته. ولكن في نظرية المحو هذه أن الإنسان أصبح المركز الأوسط المطلق مما أفقده القدرة على محاولة النظر بإيجابية في أدوار كافة الخلائق وحتى دور أخيه الإنسان من الأجناس الأخرى.

فلقد خسر الإنسان القائد حينما جعل من نفسه المركز المطلق والذي أدى إلى كل ما نراه الآن من كوارث.

أما الأساس الثالث فهي المرجعية والتي جعل الإنسان نفسه مرة أخرى المركز المطلق، فأصبح هو الحاكم والشاهد والقاضي في نفس الوقت وهو ليس أساساً لقيام العدل الذي من أجله خلقت السماوات والأرض

**نظرية التواصل الحيواتي التكاملي:**

تقوم هذه النظرية على نفس الأسس الثلاث التي ذكرت من قبل، فالإنسان هو القائد ولا خلاف في ذلك. والإنسان هو المركزية الوسطى والذي لا يكتمل دوره المهم في الحياة إلا بقيام الخلائق الأخرى بأدوارها المكملة لدوره. فنعم لمركزيته المهمة ولا لمركزيته المطلقة.

والمرجعية لابد أن لا تكون للإنسان، بل تكون للذي يعلم كل ما يعلمه الإنسان ويعلم كل ما لا يعلمه كذلك. والذي خلق كل شيء فأحسن خلقه. وأنا هنا لن أسمي لكم من هو تلك المرجعية التي أتكلم عنها ولكني سأترك لكم تحديده إن أردتم اتباع نظرية التواصل الحيواتي التكاملي، فأنا أعرف ما اخترته وآمنت به.

هل سأل كل منا نفسه هذا السؤال المحير " ما هي فلسفة وجود وبقاء الإنسان على ظهر هذه المعمورة؟" هل هي لعبادة الخالق؟ أم هي لإعمار أركانها؟ أم هي للاستفادة منها والبقاء على ظهرها؟ أم هي لتغيير أنظمتها التي تسير من خلال دوراتها؟ أم هي للعلم والتجربة حتى يستطيع الإنسان خلق معمورة جديدة بأنظمة جديدة من صنعه؟ أم هي للمحافظة على مقدراتها وقيادة كافة خلائقها؟

وهل دور الإنسان استيعابي شمولي احتوائي تكاملي مع كافة الخلائق الأخرى ومع بقية الظواهر الطبيعية المتمثلة في الحياة على ظهر الأرض؟ أم أنه دور إقصائي أحادي انعزالي وفي كثير من الأحيان إمحائي تدميري؟

كل هذه الأسئلة وغيرها تقودنا إلى فهم فلسفة الأنظمة العالمية الجديدة أو القديمة التي يريد الإنسان أن يدير من خلالها العالم وكوكبة الخلائق أجمع.

وإن نظرنا إلى ما بين أيدينا من ما فعله الإنسان لوجدنا أن دوره في أنظمته الجديدة التي نسميها عالمية هو الأخير وليس الأول للأسف. والشاهد على هذا هو ما حدث للكثير من الأجناس البشرية التي حاول الإنسان القضاء عليها في أوربا وفي أمريكا وأستراليا وأفريقيا وآسيا. ولم يقتصر دور الإنسان في القضاء على عرقيات وشعوب من بني جنسه بل امتدت يداه إلى خلائق أخرى والتي انقرضت أو أصبحت في الطريق إلى الانقراض.

**12:10pm, Home, Bathroom Toilet, Saturday, 15.03.08**

وهذه هي أبعاد النظرية التي أريد أن أشير إليها بكونها إمحائية أو احتوائية. فإن كانت كما ذكرت آنفاً فسوف تصبح إمحائية لأنها تقوم على قيادة الإنسان ثم جعله المركزية المطلقة في الحياة، ومن بعد ذلك الإشارة إليه بأنه المرجع والمصدر. وذلك مما جعل للأحادية الفلسفية الفكرية من أن تنمو في أفئدة البشر والتي أدت إلى تثبيت دعائم النظرية الإمحائية التي كانت ومازالت تعاني منها كافة الخلائق.

أما إذا كان الإنسان هو القائد – وهذا متفق عليه- ثم من بعد ذلك هو أهم العناصر المركزية – ليس بإطلاقها- الخلائقية ( وهذا أيضاً قد يكون متفقاً عليه). أما المرجعية فتصبح لآخر غير الإنسان. آخرٌ يسع علمه الإنسان وكافة الخلائق التي نعرفها والتي لا نعرفها، فنصبح بذلك مطبقين لأبعاد النظرية الاحتوائية التي تشمل عناصر بقاء كافة الخلائق دون إقصائها أو محوها من الوجود.

### 3.2النظام الذي تدور من حوله الحياة:

قد لا يريد المرء منا أن يؤمن بإله أو بآخر يسير هذا الكون، وهذه حرية شخصية سيساءل كل منا عنها في يوم ما لأنها مسؤولية كذلك، وهو ليس موضوع نقاشنا اليوم.

ولكن الذي أريد طرحه علينا هنا هو أن هذا الكون يسير وفق نظام ثابت ومتكامل دقيق بديع بغض النظر عمن يسيره ويتحكم فيه ويضع برامجه. فإن علم المرء منا أن للكون نظام شامل فعليه واجب المحافظة عليه لأن هذه هي مسؤولية الإنسان القيادية التوجيهية.

أما إن شعر بأن هذا العالم لا يسير وفق هذا النظام البديع الدقيق وأراد الإنسان أن يضع نظاماً آخر فهذه هي الطامة الكبرى الدالة على جهل الإنسان بهذا النظام البديع الشامل المتكامل.

وهذا الجهل يكون تابعاً للرغبات الشخصية الأنانية. فلا يرى الإنسان عندها أي ضير في الإسراف في قطع الغابات التي تبعد عنه آلاف الأميال! أو رمي ودفن النفايات الكيماوية في صحاري تبعد عن حدود بلاده! ولا يرى أن هناك مشكلة في القيام بتجارب نووية وبيولوجية في أعماق المحيطات!

فهذه هي الأحادية الفكرية والأنانية المطلقة لأن هذا الإنسان يعتقد أنه في مأمن لأنها "بعيدة عنه ولن يصاب بأذى" وهو ما يوضح مقدار الجهل والأنانية، فتأثير كل ما سبق قد لا يحدث اليوم أو غداً ولكنه آت لا محال ليس فقط على تلك البقاع المتضررة البعيدة ولكن على العالم أجمع. ثم يأتي هؤلاء الأنانيون ليبحثوا عن وضع أنظمة وقائية تحميهم من هذه الكوارث التي كان الإنسان سبباً فيها.

والتحدي هنا هو هل نستطيع وضع نظام بديل أفضل لتسيير شؤون حياة الخلائق وفق برامج ميكروسوفت أو جوجل أو إنتل أو مراكز الأبحاث في ناسا؟ أم أن أنا واجبنا هو أن نعترف بجرمنا في حق باقي الخلائق وأن نحاول وضع نظام عالمي جديد شامل ليس لأبناء البشرية فقط بل لكافة الخلائق؟

أنا لا أنكر هنا قيمة العلم والعمل البحثي والبحوث التي خدمت ومازالت تخدم العالم ولكن ما أقوله هو أنه علينا تشجيع كل هؤلاء وعلينا تعريف العالم بالآثار الإيجابية والسلبية الناتجة عن هذه التقدمات العلمية والتي قد تكون عظيمة ومفيدة ومدمرة في نفس الوقت، وهنا أطرح علينا جميعاً مبدأ تكامل المعرفة بين الشعوب حتى لا يحرم شعب من خيرات هذه الإنجازات.

وأنا أيضاً لا أعارض من يريدون وضع نظام جديد للكون بديلاً عن النظام الخلائقي الذي وضعه الخالق سبحانه وتعالى من ملايين السنين، بل سأترقب بحذر وأنصحهم بعدم إضاعة الجهد والمال والوقت ثم أفوض أمري إلى الله.

### 3.2النظام العالمي الجديد

إن من المسلمات البديهية في هذه الحياة هي أن لكل مخلوق نظام يعيش ويحيا ويستمر فيه من خلاله، فإن اختلت قواعد وأسس هذا النظام لاختلت قواعد ونظم حياة المخلوق.

هذا من جهة أما من الجهة الأخرى فإن كافة هذه الأنظمة مرتبطة بعضها ببعض وفق نظام متكامل يسيّرها لديمومة حيوات كافة الخلائق المتكاملة في أداء دورها في الحياة.

فإن كان الأمر هكذا فإنه أيضاً من الطبيعي أن لكل فرد منا ولكل أسرة ولكل قبيلة ولكل مجتمع وكل شعب نظام يضعه لنفسه ويعيش من حوله للمحافظة على استمرارية حياته هذه. وإن اتفقت بعض الدول على نظام واحد فيكون هذا النظام نظاماً إقليمياً، وإن اتفقت قارة بعينها على نظام واحد لأصبح هذا النظام نظاماً قارياً. وإن اجتمع عدة دول فإنه يكون نظاماً عالمياً. ويتدرج بناء هذا النظام من الأسرة إلى القبيلة إلى المجتمع إلى الدولة ثم إلى القارة ثم إلى العالم. لأن الإنسان وكافة الخلائق مجبولة وفي طبيعة خلقها على تكوين نظام ثم السير على نهجه، بغض النظر عن نوعية هذا النظام وعن طبيعة أبعاده الأخلاقية والإيمانية والمادية.

والنظام العالمي الذي نتحدث عنه الآن ليست جديداً وحديثاً، بل إنه قديم قدم المعمورة، فلقد نشأ وأقامه الإنسان بطرق بدائية حينما كان علم الإنسان يرى حدود العالم في نهاية الأنهار أو الجبال التي كانت تحدد موقعه الجغرافي. ثم اتسع علمه وتشعب فيما بعد حينما عبر تلك الحدود الجغرافية. فخرج النظام من المحلية القارية إلى القارية العالمية، ثم تطور بعد ذلك عندما خرج الإنسان إلى الفضاء الخارجي، وسوف يتطور ويتطور لكي يخرج من أبعاد الفضاء إلى أبعاد المجرات.

ومن جهة أخرى تطور النظام العالمي في التقنية فخرج من الأعمال اليدوية العضلية إلى الأعمال الذهنية التقنية والتي أثرت على كافة مناحي الحياة والخلائق كلها.

وتطور هذا النظام كذلك فكرياً وثقافياً وقيمياً وروحياً ومادياً وكافة الاتجاهات الأخرى، لأن هذه هي طبيعة الإنسان قائد الكوكبة الخلائقية التي تتميز بالتمييز والاختيار والطموح والبناء. إذن نخلص من هذا إلى أن النظام العالمي ليس بمستحدث بل هو قديم قدم المعمورة، وإن سنحت لي الفرصة لضرب الأمثلة هذه لذكرت لكم عظم الحضارات التي أقامتها هذه الأنظمة العالمية التي قامت في بقعة أرضية أو فكرة أو العالم والتي منها حضارات أنظمة الإنكار والصينيين والبابليين والآشوريين والفينيقيين والسامريين والمصريين القدماء، وهناك القبائل الأفريقية والتاسمانيين والإسكندر المقدوني والرومان والإغريق والمسلمين، وكلها كانت حضارات عالمية أقيمت على قواعدها حضارات وفق المعايير والإمكانات المتاحة لها.

وحالياً يرى العالم نظاماً عالمياً جديداً قائم على أسس الثقافة الغربية العلمانية ذات التقنية المادية.

فالنظام العالمي الجديد هو أحد أوجه الأنظمة التي يريد أن يطرحها الإنسان كأداة لإدارة مقاليد الحياة البشرية وكوسيلة لتثبيت بعض العقائد والقيم والأنظمة المفروضة على العالم. وكهدف يريد أصحابه تحقيقه من أجل بلوغ غاياتهم المعلنة وغير المعلنة.

والأنظمة العالمية هذه ليست مستغربة على بني البشر وكافة الخلائق وهو ما شاهدناه عبر التاريخ، فقد كانت هناك أنظمة عالمية قائمة على قيم وعقائد ومبادئ كل منها يختلف عن الآخر، فمنها ما كان ربانياً ومنها كان بشرياً.

06:57am, Home, Monday, 18.02.08

والنظام العالمي الجديد هذا يقوم على قوة "التجميعة" المشاركة مع السلطان الأعظم لهذه القوة، ولقد تجمع النظام العالمي الجديد في القرن الماضي مرتين ثم انقسم من خلال حب فرض سيطرة نفوذه على العالم وخاصة بعد انهيار الإمبراطورية الإسلامية، فانقسم إلى قوتين عظيمتين أدت إلى دخول العالم في حربين عالميتين شرستين راح ضحيتها عشرات الملايين من البشر.

ويخوض النظام العالمي الجديد نفس هذه التجربة مرة أخرى. ولكن بتجميعة أكبر تتكون من أجزاء متجانسة وأخرى متنافرة، فخرج علينا بتكتلات تسمى مجموعة السبعة أو مجموعة الثمانية أو مجموعة العشرة أو أي تسمية أخرى!

وأرجع مرة أخرى للتحدث عن النظام العالمي الجديد القائم على التجميعة المتناقضة والتي لا تمثل قيادة قوية واضحة، وأقول أن هذا النظام يتآكل داخلياً وخارجياً، ولذلك لعدم اقتناع العديد من أبنائه بقيمه ومبادئه، ومعدل التآكل هذا سريع جداً ومن جميع الأطراف. ومحور هذا التآكل أن هذا النظام قائم ضد فطرة الخلائق التي خلقها الله سبحانه وتعالى لتعبده، فهذا النظام هو ضد فطرة الإيمان بخالق ونظام رباني تسير من حوله أركان الحياة لتسعد بها كافة الخلائق.

فهذا النظام العالمي هو نظام غير خلائقي وهو نظام فسر الإنسانية بتمركز العالم حول حاجات الإنسان وليس بدفع عجلة الحياة الخلائقية بأيادي الإنسان قائد هذه الكوكبة الخلائقية. ويقوم هذا النظام كذلك بتصنيف البشرية إلى شعوب وقبائل يتعامل كل منها مع الآخر بمكاييل تختلف من شعب إلى آخر، فيما أسميه بالتصنيف الطبقي العرقي القيمي السلبي.

**,20:28Home, Monday, 18.02.08**

فهو نظام مادي بحث قائم على المصالح وتتحدد قيمه حسب المكاسب المادية التي يمكن الحصول عليها. وبالرغم من أن قادة هذا النظام يزعمون أنهم متدينون إلا هذا التدين يقاد من خلال المبادئ المادية والتي يعتقدون أنها تنمي المجتمعات لأنها غير قائمة على التكامل ما بين التنمية الروحية الأخلاقية والتنمية الميدانية المادية، فتغلب عنصر المادة على عنصر الروح مما أدى إلى تطويع القيم الدينية من أجل القيم المادية والذي أدى بالتالي إلى إهمال الدور المتكامل الذي تقوم به كافة الخلائق لإكمال دورة الحياة والذي تعاني من آثار هذا الإهمال الخلائقُ جميعاً.

هذا النظام نسى مبدأ الشراكة الفعالة الإيجابية القائمة على مشاركة الخلائق للإنسان في سكنى وإنماء وتطوير الكواكب التي يعيشون عليها، فقد هذا النظام روح التكامل الإبداعي بين الشركاء في هذه المجتمعات الخلائقية.

فكانت نتيجة أخطاء هذا النظام هو ازدياد حجم وعدد الكوارث الطبيعية والتي هي من صنع البشر والناتجة كلها من فساد الإنسان في الأرض كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون [سورة الروم، الآية 41]

**التنمية والنظام العالمي الجديد:**

لقد ذكرت آنفاً أن النظام العالمي الجديد ليس بفكرة مستحدثة ولكن الذي تغير هو حيثيات وآليات وقيم هذا النظام التي تغيرت مع تغير المجتمعات.

وأرى في رأيي الشخصي أن النظام العالمي الحالي يقوم على أسس نظرية "المحو الإبادية" وليس حسب نظرية "التواصل الحيواتي التكاملي" وأصبح دور الإنسان فيه هو الأول والأخير والقاضي والشاهد والمنفذ والمحامي. وكلنا نرى الكوارث التي حلت بكافة الخلائق من جراء تطبيق هذه المنظومة التي جعلت القيمة الاقتصادية هي القيمة التي من خلالها تدور عجلات هذا النظام دون النظر إلى باقي القيم الأخرى في كثير من الأحيان.

ولقد أثرت هذه المنظومة على عجلات تنمية المجتمعات العمرانية في العالم مما أدى إلى ظهور مصطلحات ومتطلبات غير التي كانت معروفة من قبل. وقد يجادل المرء منا نفسه قائلاً "أن سبب هذا هو زيادة تعقيد الشبكة المجتمعية عما كانت عليه في الماضي" وقد يكون هذا صحيحاً ولكن في غالب الأمر يرجع هذا التعقيد إلى القيم التي وضعها هذا النظام فأثرت سلباً أو إيجاباً على المشاكل المجتمعية التنموية التي لم تكن موجودة من قبل. وإن كان البعض يرى أنها كانت موجودة ولكن بصورة أقل مما هي عليه الآن. ودعونا الآن نرى بعض هذه المشاكل التي نتحدث عنها:

1. الهجرة وحركة الشعوب من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب
2. التصحر والقضاء على الموائل الطبيعية
3. التلوث البيئي والتغير المناخي
4. ازدياد نسبة انتشار الفقر في العالم مع تغير معدلات الفقر المتفق عليها
5. ازدياد الفجوة الاقتصادية بين الدول الصناعية المنتجة والدول الفقيرة
6. ظهور أمراض فتاكة وأوبئة لم تكن معروفة من قبل كالأمراض النفسية المرتبطة بالحروب ومرض الإيدز وانفلونزا الطيور وحمى الحيوانات القلاعية ومرض سارز، بالإضافة إلى أمراض سوء التغذية وكلها أمراض ترتبط كلها أو بعضها بالنظام المجتمعي الاقتصادي التي تسير من حوله المجتمعات
7. ازدياد حدة النزاعات والحروب بين الشعوب والدول
8. التحدث عن التقسيمات العرقية والمذهبية للمجتمعات والبدء في تقسيم الدول حسب العرق والمذهب
9. الفقر وتبعاته من ظهور أعراض التطرف والإرهاب الناجمة عن الفراغ والبطالة واليأس
10. ظهور ظاهرة الأسرة ذات الوالد الواحد أو الأسر التي يعليها أطفال
11. إعراض الشباب عن الزواج مما أثر على التركيبة الأسرية التي هي أساس البناء المجتمعي والتي تؤدي إلى تغييرات ديمغرافية في العديد من الدول حيث قلت معدلات الإنجاب فيها
12. ظهور ظاهرة أطفال الشوارع واستعمالهم أسوأ استعمال في الأعمال الإجرامية واللاأخلاقية
13. ظهور ظاهرة غزو البلاد من أجل الدفاع عن الديمقراطية وتبعات هذا الغزو على الدول الضعيفة
14. نمو عدم ثقة الشعوب بالمؤسسات الأممية والدولية المانحة لعدم قدرتها على التماشى مع سرعة هذه المشاكل من جهة ومن جهة أخرى تحكم بعض الدول الكبرى على هذه المؤسسات وعلى قراراتها والتي تصل إلى فرض تعيين أبناء هذه الدول الغنية في المراكز القيادية في هذه المؤسسات
15. التأثير السلبي والإيجابي للثورة التكنولوجية المعرفية
16. معالجة الدول والمؤسسات الدولية والأممية أعراض هذه المشاكل وليس أسباب هذه المشاكل نفسها

17. رجوع ظاهرة التفوق العنصري إلى عقول وأفئدة ساسة الدول المتقدمة والتي كنا نعتقد أنها قد اندثرت من قبل

18. انتشار ظاهرة فرص الديون على الشعوب المغلوبة على أمرها

19. عدم الوصول إلى تعريف عام للإرهاب وأسبابه أو للديمقراطية وتطبيقاتها والتي يختلف عليها

20. ارتباط المعونات المقدمة من المانحين بأجندات سياسية أو أمنية تحقق رغبات المانحين في تقوية أو القضاء على نظام حاكم ما وليس بسبب الحاجة الماسة للشعوب

21. قوة الإعلام وتركيزه على مناطق دون أخرى وعلى كوارث دون كوارث وعلى أنظمة دون أنظمة

22. الجنود الأطفال والتعامل مع المسلحين داخل حركات التمرد والجنود داخل جيوش التحرير

23. قضية الألغام المتفاقمة وتبعاتها على المجتمع

24. قضايا نزع السلاح المتواجد بأعداد كبيرة بين يدي المسلحين وأصحاب العصابات

25. قضايا زراعة المخدرات والعقاقير التي تمول الدول وحركات التمرد

26. تأثير التطور التكنولوجي العسكري على المجتمعات المدنية بعد الحرب العالمية الأولى

ومشاكل أخرى كثيرة قد ظهرت مع النظام الاقتصادي العالمي الذي تتحرك من خلال قيمه وفعالياته كافة الخلائق.

وهذا بالطبع أدى إلى تكيف العمل التنموي مع هذه المشكلات لمحاولة وضع حلول جذرية لها، مما أدى إلى عدم التركيز في بناء البنى التنموية المجتمعية للشعوب. فأصبحت الأموال التي تجمع للأعمال التنموية تنفق على مشاريع أخرى مثل:

1. معالجة ظاهرة وآثار الهجرة السلبية على المجتمعات المهاجر منها وعلى المجتمعات المضيفة
2. مشاريع تنمية الصحراء واستزراعها وإيجاد فرص عمل لأبناء هذه الصحراء للحد من هجرتهم
3. المحافظة على الموائل الطبيعية
4. إعادة استعمال المخلفات والنفايات وتصنيفها
5. إنفاق أموال طائلة لمحاربة الأمراض والمشاكل المجتمعية
6. ظهور ظاهرة المؤسسات الحقوقية والتي تدافع عن الإنسان وعن الحيوان وعن المناخ وعن النساء والاطفال
7. ظهور برامج الدفاع والحض النوعي داخل غالبية المؤسسات التي تعمل في مجال التنمية
8. ظهور برامج وإدارات السياسة داخل المؤسسات التنموية لمعرفة توجهات الحكومات والمنظمات المانحة والمستفيدة
9. ظهور مؤسسات لمحاربة الإرهاب والتطرف ولفض النزاعات

10. ظهور مشاريع ومؤسسات تمثل العرقيات وتتحدث عن مشاكلهم
11. الإنفاق الإعلامي على المشاريع التنموية وبرامجها
12. برامج تأهيل المعاقين بسبب الألغام
13. مؤسسات وبرامج إعادة تأهيل الجنود ومزارعي المخدرات

وغير هذا من المؤسسات والمشاريع التي ظهرت نتيجة للتقدم الصناعي والتكنولوجي الاقتصادي للمجتمعات.

ومع معرفتنا بكثرة المشاكل المطروحة أمامنا ولقلة الدعم المتوفر أصبح لزاماً على كل مؤسسة أو جمعية تعمل في مجال التنمية تقسيم مداخيلها على أبعاد كثيرة.

وإن أردنا أن نقيم أي نظام فلابد من أن تتوفر فيه القيم والآليات التالية:

**1.آليات التنفيذ**

أن ترتكز هذه الآليات على ثلاثة قواعد متكاملة هي: قاعدة القطاع الحكومي وقاعدة القطاع الاقتصادي الخاص وقاعدة القطاع المدني الخدمي الاجتماعي. وتتحقق الصورة الكاملة لرؤية المجتمع من خلال خبرات وتفاعلات القطاعات الثلاث، بما يحقق التكاملية المعرفية لأصحاب القرار حتى لا يخطئ القائمون على هذا النظام ويتبعوا نظرية "المحو الإبادية" التي تحققت لانفراد بعض هذه القطاعات دون أخرى.

1. **دور مؤسسات المجتمع المدني:**

يجب على كل نظام أن يضع أولوية تفعيل وإشراك مؤسسات المجتمع المدني بشمولية تخصصاتها الحرفية في داخل المنظومة المجتمعية. وحيث يصبح دور هذه المؤسسات ليس استشارياً فقط بل يصبح توجيهياً قيادياً،حتى يتسنى لقادة هذا النظام إشراك فعاليات توجيهية معرفية وتطبيقية داخل منظومته، تتحقق من خلال مشاركتها الفعالة المحافظة على فعاليات النظام الإيجابية وفعاليات المجتمعات المدنية الإيجابية التي تتكامل فيها مع فعاليات المجتمعات الأخرى.

فلم تعد الحكومات قادرة على مواجهة المشاكل التي تواجهها شعوبها لشدة تعقيد التشابك المجتمعي الذي نمى نمواً مطرداً مع النمو الرأسي للتقدم التكنولوجي للثورة الصناعية الحديثة. لذلك فيجب على المسؤولين في هذا النظام إفساح المجال والطريق لمؤسسات المجتمع المدني بشمولية أدائها المتباين والمتميز كي تكون معهم لقيادة عجلة القيادة وتوجيهها إلى مسارها السليم.

كل هذا وغير أصبح لزاماً أن تعرفه حين محاولتنا لوضع قواعد وأسس سليمة لبناء نظام عالمي جديد، لأن هذه الكلمة قد ترددت كثيراً وعرفت مرات ومرات تعريفات قد تتناقض بعضها في معاني تعريفاتها مع التعريفات الأخرى. فلهذه الكلمة تعريفات سياسية وأمنية وعسكرية واقتصادية ودينية وتعليمية. ولها أيضاً تعريفات شمولية استعمارية استعبادية عنصرية استغلالية إقصائية إبادية. فالكل يريد أن يجد تعريفاً يناسبه للنظام العالمي الجديد، ولكن علينا إن أردنا أن ننجح فعاليات أي نظام علينا الالتزام بهذه المبادئ والآليات التي ذكرتها من قبل. ويمكن أن نضيف إلى تلك المبادئ الكثير ولكن من الواجب علينا أن لا نغفل فيها الدور الشراكي الإيجابي الخدمي التكاملي لكافة الشعوب مع بعضها البعض. فالكل أبناء آدم وحواء. والكل أبناء الأسرة الواحدة هذا من وجهة النظر الإنسانية. أما من وجهة النظر الخلائقية فإن دور الإنسان في الحياة لا يكتمل إلا بالأدوار التي تقوم بها كافة الخلائق لخدمته وخدمة بعضها البعض.

### 2. دور الحكومات:

على الدور الحكومي أن يتبلور في الدور الخدمي الشمولي الأبوي، فالحكومة هنا تصبح بمثابة الأب الراعي لكل هذه المبادرات التي تحدث على واقع أرض الوطن، ولا للحكومة من أن تصبح شريكة أيضاً لمؤسسات مجتمعها المدنية ومؤسسات مجتمعها الاقتصادية بما يحقق التعادل والتكافؤ بين مؤسسات هذين القطاعين. وعلى الحكومة ألا تنساق بأحادية سلبية وراء المبادرات الاقتصادية العملاقة التي قد تؤثر سلباً على نمو النسيج المجتمعي المتشابك. ولابد للحكومة كذلك أن تكون لها رؤية شاملة في أطروحات هذين القطاعين رؤية تستكمل فيها نواقص القطاعين وتستفيد فيها من مبادرات هذين القطاعين، فتكون لهما الحكم القاضي في المرجعية الخلافية وأن تجعل قيمة المال لا تزيد من قيمة الفكر والأداء والمبادرات.

فيكون بفضل الأداء المتميز للحكومة دور الثلاث قطاعات متكاملاً ويدور في حلقات متشابكة منتجة تنمو من خلال عطاءاتها المجتمعات والدول التي تشكل القاعدة القوية في إنجاح أي نظام نريد أن نقيمه ليحكم العالم أو يوجه العالم بشعوبه ودوله ومؤسساته.

### 3. دور المؤسسات الاقتصادية:

لقد تأثر العالم عقب ظهور الثورة الصناعية التقدمية الإنتاجية تأثراً كبيراً بحيثيات نجاح هذه الثورة التي أثرت على نمو المجتمعات إيجاباً وسلباً في نفس الوقت. فحينما وفرت هذه الثورة الفرص العديدة للعمل أقرت في بعض تطبيقاتها نظام السخرة السلبية الأحادية الاستعبادية التي قضت على الكثير من الشعوب والقبائل والكائنات. وحينما بدأت في إعادة بناء الهياكل المجتمعية قضت على الهياكل الطبيعية الثقافية المجتمعية. وخلاف ذلك من إيجابيات وسلبيات ممكن أن نناقشها.

ولكنه في الآونة الأخيرة أصبح العالم وخاصة حكوماته مساقة خلف عجلات الاقتصاد والصناعة فقط، حتى أصبح بما لا يدع للشك لدى الكثيرين إيمان عميق أن الذي يدير العالم وحكوماته ونظامه هو المؤسسات الاقتصادية والبنوك وليست الحكومات الشرعية، مما أدى إلى نمو الجوانب التطبيقية لنظرية المحو الإبادي.

فعلى النظام العالمي الجديد أن يراجع هذه الخاصية فيصبح دور المؤسسات الاقتصادية مكملاً لدور مؤسسات الحكومة ومؤسسات المجتمع المدني، وأن تحقق هذه المؤسسات قاعدة مسؤوليتها الاجتماعية تجاه المجتمعات والشعوب. بما فيها نقل التكنولوجيا نقلاً إيجابياً لهذه الشعوب والمجتمعات فتكون هناك ثورات صناعية في الدول الفقيرة يجعلها ليست فقط مستهلكة للتكنولوجيا ولكن تصبح منتجة لها كذلك.

## 2. القيم الواجب توافرها في هذا النظام:

- **السخرة الإيجابية التكاملية:**

وقد يختلف المرء منا في الدور الذي تلعبه الكائنات في خدمة الإنسان، وهناك الكثير الذين يقولون أن الخالق سخرها لخدمتنا وهذا ما تؤمن به غالبيتنا ولكن فلنسأل أولاً ما معنى "التسخير"؟

هل هو أحادي الوجهة one-sided self-interest ؟ وإن كانت الإجابة بنعم فكيف ترتبط عجلات التسخير ببعضها البعض لنبني على منظومة الحياة دونما فقدان التوازن. وإن كانت هذه هي الإجابة الصحيحة فلابد من هذه الأحادية أن تحافظ على عوامل بناء المخلوقات التي تشاركنا هذه الحياة كي لا تنقرض ويشقى بعد انقراضها الإنسان التي سخرت من أجله.

ونضرب هنا بعض الأمثلة، فقد تضطرنا بعض العوامل الاقتصادية تحويل الموائل الطبيعية الخضراء إلى بنايات واستثمارات وفنادق، فما هو تأثير هذه المشاريع؟

التفجيرات النووية في أعماق المحيطات وتلويث مياه البحار والأنهار بإلقاء النفايات هو تسخير أحادي لمجموعة اقتصادية ترى في ذلك منفعة لها ولكن ما تأثير ذلك على الخلائق ثم على البشر أنفسهم؟

وفي هذا التسخير الأحادي علينا أن نضع شروطاً منها معرفة تكامل دورة الحياة التي يشترك في بنائها كافة الخلائق التي سخرت لخدمة الإنسان يخدم بعضها بعضاً، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً ليس فقط لتسيير الحيوات المختلفة على الأرض والتي ترتبط كلها ببعضها البعض في نظام دقيق لا يتغير. وهذا ما أسميه بالسخرة الإيجابية. نعم هي سخرة من جهة ولكنها تحافظ على البقاء التكاملي للمسخر والمسخر له. فلا يستطيع فيها الإنسان أن يحيى بمعزل عن الأدوار الإيجابية التي تقوم بها الكائنات المسخرة من أجله.

**14:45 Office, Thursday, 06.03.08**

فهي سخرة إيجابية في المعرفة. المعرفة بتكامل الأدوار التي يلعبها الجميع في إكمال الدورات الحياتية. وسخرة إيجابية في الأداء الدقيق المتشابك والمتكامل للمسخر والمسخر له. وإيجابية في الشكر في شكر الجميع للخالق واضع قواعد هذا الناموس الرباني القائم على العدل المطلق الإيجابي الذي لا يظلم أحداً بل يسع الجميع بكافة إمكاناتهم وأعدادهم الهائلة التي لا نستطيع أن نحصيها عدداً. فلنكن إيجابيين حتى في فهمنا لدورنا التطبيقي للسخرة فنجعلها سخرة تعددية إيجابية تخدم القائد ومن معه من خلائق أخرى.

وهذه السخرة الأحادية الإيجابية هي حقيقة واقعة ولا تستطيع أن تقوم مقومات هذه الخلائق إلا عليها. وهذه السخرة تحتوي في بواطنها على مبدأ المسؤولية الذي غاب في كثير من الأحيان عن الوعي الذهني للإنسان قائد الكوكبة الخلائقية.

فنعم لسخرة أحادية إيجابية تُبقي على حيوات الخلائق الأخرى التي تساعد في إكمال دورات الحيوات المكملة والمسخرة للإبقاء على حياة الإنسان.

فهذا التكامل المتشابك بين أطراف هذه الحيوات المتعددة والمتنوعة هو الذي يجعل للسفينة قائداً يبحرها ليصل بها إلى الشواطئ الآمنة كي تكتمل عجلة السخرة الأحادية الإيجابية التي تستمر بها الكائنات تخدم بعضها البعض لتحافظ على الاستمرار في القيام بالدور الذي قام به نوح عليه السلام لتبدأ الحياة مرة أخرى.

فالمسؤولية هنا هي في الذي قام به نوح عليه السلام. فالإنسان هو نوح، والإيجابية هنا هي المحافظة على من مع نوح لكي تستمر بهم الحياة على هذا الكوكب. والسفينة هنا هي الوسيلة التي تسير بهم جميعاً حسب الناموس الدقيق الذي وضعه من خلق نوح وخلق الخلائق وسخر لهم البحر ليركبوه وفق العلم الذي وضعه في العقل الفكري لقائد هذه السفينة.

لقد ذكرنا أن الخالق قد خلق الخلائق وسخرها جميعاً لخدمة هذا الإنسان، فلابد أن تصبح هذه السخرة إيجابية يحافظ القائد فيها على حيوات الخلائق وعلى القائد أن يؤمن بأنها ليست إيجابية فحسب بل لابد من أن تكون تكاملية، هذا يأتي في إيمان القائد الإنسان بأن الأدوار التي تقوم بها كافة هذه الخلائق هي أدوار أساسية ومكلمة للدور الذي يقوم به لإنماء وتطوير الحياة ووسائلها. هذا ما أسميه السخرة الإيجابية التكاملية ولا تطبق هذه السخرة بين الخلائق فقط بل بين الشعوب والدول والمؤسسات والأفراد. فتقوم الدول العظمى بدور الإنسان القائد في إيمانها بأن كافة الدول الفقيرة والشعوب النامية

شركاء لهم في تحقيق إنجازات لأي نظام عالمي جديد فالكل له قيمة والكل مهم في إرساء وتحقيق فعاليات هذا النظام.

- **القيادة:**

لابد للإنسان من أن يؤمن بأنه قائد هذا الكون وقائد هذا النظام، وأنه المسؤول على إنجاح هذا النظام التكاملي الإيجابي وإنجاح إثراء النظام الحياتي لكافة الخلائق. وأن يرتقي الإنسان إلى درجة المصلحين الذين يصل بعضهم لدرجة الرسل والأنبياء.

- **الرعاية:**

ودور رعاية الإنسان قائد هذا النظام لا يقل عن دوره القيادي. فهو الذي عليه أن يرعى بشمولية كافة الدول والشعوب من جهة ومن جهة أخرى كافة الخلائق.

- **التمكين:**

ومبدأ التمكين هذا يرتكز على قاعدة السخرة الإيجابية التكاملية. فإن طبقنا تلك القاعدة التي تخدم فيها الدول العظمى الدول الصغرى بإيجابية تكاملية، وجب على هذه الدول العظمى نقل التكنولوجيا لتمكين الدول الصغرى، فنستطيع بذلك تنمية مقدرات هذه الدول إيجابياً كي تصبح دولاً عظمى في يوم ما. وتتحول أحادية القيادية الفردية للنظام إلى تعددية التكامل الديمقراطي بين الدول لقيادة المجتمع الدولي دون النظر إلى عرق أو لون أو دين.

- **المنشأ والمرجعية:**

لابد على النظام هذا من أن يحدد قواعد منشأ الحياة والأكوان من حولها ثم من بعد ذلك تحديد مرجعيات هذه الخلائق والأكوان بعد تحدد منشأها. فإن تخبطنا في تفسير المنشأ فسوف نتخبط كذلك في تحديد جوهر المرجعية التي نريد أن نجعلها حكماً لنا. هذا هو التحدي الصعب للصراعات القائمة حالياً بين المنهجيات الفلسفية الفكرية العقائدية لهذه النظريات، وإن اختلف أصحاب هذا النظام في تحديد المنشأ والمرجعية فلن ينجح نظامهم وسوف يصبح نظاماً إبادياً يمحو الحياة.

- **اتباع نظرية التواصل الحيواتي التكاملي أم اتباع نظرية المحو الإبادي القطعي:**

على هذا النظام أن يحدد أي النظريتين يتبع. وهذا يرتبط بالمرجعية كما ذكرت من قبل ودور الإنسان في قيادة هذا النظام وهذه الدول وهذه المجتمعات الخلائقية. وفي نظري -وقد أكون مخطئاً- لابد من اتباع أساسيات نظرية التواصل الحيواتي التكاملي، حتى وإن لم يؤمن البعض بالمرجعية التي أؤمن بها.

- **الديمقراطية المعرفية:**

يتحدث العالم عن الديمقراطية وتطبيقاتها ولكن يغفل العالم أن هذه الديمقراطية هي سنة من سنن الحياة وخاصية من خصائص الإنسان. وقد تطورت مع تطور المجتمعات عبر العصور وهي ليست استكشافاً غربياً أو شرقياً أو فكرة دينية يتمتع بها دين دون آخر بل هي فطرة فطر بها الخالق الإنسان ليستطيع قيادة الخلائق. ولابد أن تقوم قواعد هذه الديمقراطية على أسس المعرفة، فإن غابت المعرفة ضاعت الديمقراطية وتحولت إلى ديكتاتورية تقيم أنظمة شمولية.

لذا فقد وجب علينا أن نوجد نظاماً عالمياً خلائقياً جديداً لا يقوم على محور مادية الحياة الدنيوية بل يرتكز على محوري روحانية القيم الربانية السماوية الأخروية والتي يسعى من خلالها الإنسان إلى كسب رضا الخالق سبحانه وتعالى، ويستفيد منها كافة الخلائق في مشاركة فعالة إيجابية خلاقة. وتسعى كذلك إلى مادية التطور المجتمعي البيئي الخلائقي الإيماني لإنماء وتطوير الحياة، فنربط فيه القيم الروحية بالقيم المادية الإيجابية التي لا تهمل الأدوار الهامة التي تقوم بها كافة الخلائق لإكمال الدورة الحياتية المتكاملة لكل منها من خلال النظام الرباني الذي ينظم الحياة الخلائقية على وجه الأرض.

فنعم للتطوير المادي، ونعم للتطوير التقني، ونعم للتطوير البيئي الإيجابي القائم على التكاملية التعددية في الأدوار التي تقوم بها كافة الخلائق وفق ناموس الحياة. ونعم لمعرفة التكامل التشابكي بين الدورات الحياتية التي تكمل بعضها البعض في خدمة الإنسان وخدمة بعضها البعض.

ولا للتطوير السلبي الذي يغلب مصلحة البعض على الكل لجهل أو لسوء ظن أو لسوء نية أو لسوء تخطيط. ولا للأحادية السلبية في تدمير الحياة من أجل خدمة القلة على ظهر هذه المعمورة.

### 3.3ما علاقة الإغاثة الإسلامية بالنظام العالمي الجديد والإنسانية أو الخلائقية؟

إن العمل الإغاثي جزء لا يتجزأ من أركان النظام العالمي الجديد، وهو جزء من العالم الخلائقي لأن العمل الخلائقي الإغاثي هو جزء من ثوابت فطرة الخلائق القائمة على حب الخير وأعماله.

لذلك فإن الإغاثة الإسلامية هي جزء واضح المعالم مرسوم الخطى صادق التعبير لما له من شخصية اعتبارية قيمية واضحة تسعى من خلالها عرض منتجها على المجتمعات ولها خصائص منها:

**رسالتها**: المستمدة قيمها من تعاليم الدين الإسلامي الخلائقية

**وهدفها**: الذي تسعى لتحقيقه من خلال الدفاع عن حقوق كافة الخلائق

**وغايتها:** التي تحاول تحقيقها ابتغاء لمرضاة الله سبحانه وتعالى

فالإغاثة الإسلامية هي جزء من العمل الخلائقي الإنساني في منظومة النظام العالمي الجديد - حتى هذا الذي اختلف فيه مع زعمائه في التطبيق- لأنها لا ولن تعيش في معزل عن الخلائق والأنظمة الأخرى.

إن دور الإغاثة الإسلامية هو جزء هام لا يتجزأ عن الأدوار التي تقوم بها مؤسسات القطاعات الثلاث التي تكون كافة الأنظمة المحلية التي نعمل فيها التي تتأثر بها. فالإغاثة الإسلامية كباقي المؤسسات الإغاثية التنموية القائمة على قيم المعنى الخلائقي الإنساني النابع من الدين الذي تؤمن به.

لذا فيجب على الإغاثة الإسلامية وغيرها من المؤسسات التنموية الأخرى بناء قواعد برامجها على شمولية التكامل الحياتي الخلائقي والتوازن الطبيعي بين هذه المخلوقات والمناخ الذي يتلاءم مع حسن أدائها فتحافظ عليه من أجل الإنسان وباقي الخلائق.

وعلى الإغاثة الإسلامية -كونها مؤسسة تدعي أن لها مرجعية دينية قيمية- أن تطبق جوانب نظرية التواصل الحياتي التكاملي، وهو أمر واجب كذلك على جميع المؤسسات ذات المرجعية الدينية التي تؤمن بمرجعية الإله وقيادة الإنسان مع مركزية عمله.

أما عن التسميات التي نرتضيها لمجتمعاتنا فلابد علينا من أن نجد لنا اسماً يسع كافة أنظمتنا العالمية الجديدة حتى لا ننسى فيه من شاركوا في بناء مجتمعاتنا من الخلائق الأخرى، ونحن كثيراً ما ننسى لارتباط اسم الإنسان بالنسيان. ولنكن جميعاً خلائقيين نؤمن بالتكامل الإيجابي بيننا وبين شركائنا في الحياة على ظهر هذه المعمورة.

## 5. خاتمة

**06:43am, Home, Tuesday, 19.02.08**

والخلائقية التي أريد أن أطرحها عليكم ليست شيئاً جديداً على الإنسان، فالخلق "كلهم عيال الله وتحت كنفه، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله"،كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم، والخلق هنا كلمة شاملة لكل الخلائق، ومعنى العيال أنهم معتمدون على الله لا يستطيعون الحياة من غير الأرزاق التي قدرها لهم.

فإن نظرنا إلى كافة الرسالات السماوية والدعوات الإصلاحية لوجدناها لا تخرج عن جوانب هذه المنظومة الخلائقية، فالكل كان ومازال عازماً على تقديم كافة الخدمات لخلق الله كافة، والعلم هنا هو أصل الخدمة هذه، والإيمان هو القاعدة التي تبنى عليها قواعد العلوم والمعرفة، والهدف هو الدفاع عن حق كل مخلوق والمحافظة على حقوق الخلائق في الحياة، والغاية هي إرضاء الخالق الذي يسر لنا كافة سُبل الحياة.

فلا نستغرب أننا قد فقدنا الرشد في كثير من الأحيان، ولا نتكبر عن الاعتراف بأخطائنا في حقوق باقي الخلائق، فلنقر بأننا ظلمنا أنفسنا حين ظلمنا باقي الخلائق، وعلينا أن لا نهرب من الاعتراف بأنا كنا سلبيين وأنانيين في رؤيتنا لمصالحنا الاجتماعية التي لم تكن شاملة ولم تكن متكاملة ولم تكن إيجابية وفعالة بل كانت أحادية الفكر والحاجة وتتقدم فيها مصالحنا الشخصية أولاً.

وعلينا أن لا نستغرب حين نرى حصاد أعمالنا اليوم نتيجة الأعمال العشوائية الجاهلة التي صنعناها ووضعنا بسببها أنفسنا وبقية الخلائق على حافة الهاوية والعياذ بالله.

فلقد وضعنا نظريات عظيمة لتفسير الإنسانية وأصبحت كلمات رنانة في مجالس عدة، ولكنا فهمناها خطأ حينما طبقنا قواعدها، فأصبحت إنسانية "مؤنسنة" وليست إنسانية جامعة متغافلة عن حقوق المجاميع الخلائقية الأخرى التي خلقها الله سبحانه وتعالى لمشاركتنا وخدمتنا في هذه الحياة الزائلة.

إنسانية "مؤنسنة" وجهت كافة القوانين والنظم لخدمة الإنسان فقط وخرجت منها أنظمة أحادية تقود العالم بفكر انفرادي مصلحي، بعيد عن قيم الرسالات والكتب السماوية والنظريات الإصلاحية ثم يفسر هذا كله بأنه في مصلحة ومستقبل الأجيال!

لقد "أنسننّا" كل أعمالنا في مصلحة الإنسان فقط ولكنا نسينا المصالح المشتركة التي يشترك فيها معنا كافة الخلائق، بل إن "أنسنتنا" هذه لم تكن شاملة لكل البشر بل انفرد فيها البعض دون البعض الآخر.

إن العيب لم يكن في معنى الإنسانية بل كان في الفهم الخاطئ لكلمة "الإنسانية" التي طبقها الإنسان بطريقة أحادية فردية مصلحية، فأصبح لزاماً علينا الآن أن نغير طريقة الفلسفة الفكرية التي نخرج من خلالها أفكارنا ونضع فيها كلمة "خلائقية" بدلاً من "إنسانية" كي تستطيع فلسفات الفكر البشري أن تقوم على قواعد الشمولية التكاملية الإيجابية الفعالة بإشراك كافة الخلائق معها.

فهذه هي الخلائقية التي في نظري كانت وما زالت رسالة الأنبياء والرسل والمصلحين والقائمة على قواعد أهدافهم القائمة على المنظومة الإيمانية المرتبطة بالخالق سبحانه وتعالى، فهو الأول والآخر وهو الحي الذي لا يموت وهو الرازق والمحيط بكل شيء علماً والذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

**09:04am, Car Park, Lyndon School, Tuesday, 19.02.08**

ونرجع نسأل أنفسنا **"هل هذا كاف لوضع هذا المصطلح ليستعمل بدلاً عن المصطلح القديم الذي أسيء استعماله؟"**

وأرد على ذلك بأن أقول بأن هناك دافع آخر ومهم وهو إرجاع الخلق للخالق سبحانه وتعالى لإيجاد مرجعية مركزية محورية تدور من حولها كافة الخلائق، غير مناقش هنا من هو الخالق، وفق قانون متكامل شامل يسير أمور الحياة وفق منظومة عجيبة يديرها الخالق، من أجل إسعاد الخلائق، دون تغيير أو فساد. فتتكامل فيها دورات حياة كافة الخلائق مع بعضها البعض فلا تقل أهمية دور أحدها عن دور الأخرى، فالكل متكامل فعال وإيجابي. وهذا هو الجزء الجوهري من ربط النظام العالمي الجديد بمنظومة الخلائق المرتبطة بخالقها مع إيجاد بحبوحة السعة التي تسع كافة خلائق الخالق التي تشابكت أدوارها في إدارة مقاليد أمور الحياة تحت قيادة الإنسان خليفة الله في الأرض.

**11:09am, Office, Friday, 15.03.08**

وقد يعتقد القارئ أني أريد بهذا المقال الدعوة إلى دين أو عقيدة أو مذهب أؤمن به، وقد يكون هذا القارئ محقاً في بعض ما يعتقد ولكنه غير محق في البعض الآخر. فدعونا ننظر جميعاً إلى لنرى بتمعن تأثير ما يفعله الإنسان على هذه المجتمعات، فهل درس المرء منا ما هو تأثير إطلاق مركبات الفضاء على الفضاء ومخلوقاتها التي لا نعلم عنها شيئاً؟ وهل هناك دراسة لتأثير الطائرات العابرة للقارات على المخلوقات؟ وهل أثر ذلك على مسار الكائنات التي تعيش على الأرض؟

وهل درس المرء منا تأثير تحويل مجرى مياه الأنهار على المجتمعات العمرانية المقامة على جانبي هذه الأنهار؟ وهل درسنا جميعاً اختفاء الأنواع الكثير من الحيوانات والطيور والنباتات التي كانت تحيى على مياه الأنهار هذه؟

وإن كنا من غير هؤلاء الذين يأكلون لحوم الطير أو الحيوانات أو الأسماك فقد نكون من هؤلاء الذين يحرصون على تربيتها واستخدام مخرجاتها لمصلحة البيئة التي نعيش فيها. إن ظاهرة اختفاء هذه الخلائق هي التي تجعلنا نفكر في إيقاف هذا النظام الأحادي المصلحي المدمر لكافة الكائنات الحية التي تعيش معنا ونعيش معها من أجل إكمال دورات عجلة الحياة.

وهل درسنا تأثير هذه التفجيرات النووية والتجارب الكيمائية والبيولوجية على الكوارث الطبيعية التي تصيبنا جميعاً من فيضانات ورياح عاصفة؟ لقد تأثر الإنسان بكل هذه الكوارث ولكنا ما زلنا لا نريد مواجهة الحقيقة في أن ما نقوم به هو السبب الأول والأخير لحدوث الكثير من هذه الكوارث.

نحن لا نريد أن نتحدث عن إله – كما يخشى البعض- أو عن نظام إلهي – كما قد يعتقد البعض- ولكنا نريد التحدث عن أنظمة تثبت عوامل البقاء للجميع وفق فهمنا الواضح للخلائقية المكونة للمجتمعات التي نعرفها والتي لا نعرفها.

ونريد أن ندرس هذا النظام القائم على قواعد عجلة الحياة المستمرة، فإن قبلناه حافظنا عليه وإن رفضناه وجب علينا –قبل إفساد أو استبدال هذا النظام القائم- إيجاد نظام خلائقي شامل متكامل متجانس مع بعضه البعض ينظم حيوات الخلائق جميعاً – التي نعرفها والتي لا نعرفها- وليكن هذا النظام أحسن من

سابقه- فإن كان الأمر كذلك فأنا معكم فيما تفعلون من أجل إسعاد كافة الخلائق والمحافظة على مقدراتها.

فإن كان هذا النظام الذي يريد أن يضعه الإنسان هو نظام استيعابي شمولي احتوائي تكاملي فأنا أول من سيدفع عجلات إقامته ويحافظ على سلامة مسيرته.

أما إن كان هذا النظام أحادياً إقصائياً إمحائياً تدميرياً، فأنا أول من سوف يقاومه بكافة الوسائل المشروعة التي أمتلكها للمحافظة على الأنظمة الربانية الأخرى، والتي أعتقد أنها أشمل وأوسع وأكثر بحبوحة من بحبوحات أفكارنا ومدارات فلسفاتنا المحدودة.

فهل نحن إمحائيون أم نحن احتوائيون؟ وهل أنظمتنا العالمية الجديدة إقصائية تدميرية أم أنها شمولية تكاملية إحيائية؟

وقبل أن أختم حديثي معكم أريد أن أتوجه إليكم ببعض الأسئلة التي لم أجد لها إجابة شافية لعلي أجدها عندكم:

هل نحن نواجه الآن موجة أخرى من التفرقة العنصرية - كما سبق وشهدناه- وذلك بسبب الفجوة التكنولوجية الصناعية بين الشعوب والدول، وذلك بيقيننا أن هذه الشعوب الأخرى لا ترقى إلى حد مستوى التفكير لتتملك زمام هذه المبادرات؟

وهل الدين هو الدافع الأساسي الذي يجعل عرقاً ما أقل قيمة من العرق الآخر بسبب الدين؟ فالذين لا يتبعون ديننا هم من أبناء الشعوب المتخلفة؟

هل اللون هو الأساس الذي تقوم على أكتافه الحضارات؟

وأسئلة كثيرة لابد من وجود إجابات تطبيقية لها في ممارساتنا اليومية من داخل أي نظام عالمي نريد أن نقيمه من أجل خدمة كافة الخلائق.

نحن نسعى إلى أن نرى نظاماً عالمياً خلائقياً جديداً لكل منا دور فيه لا يقل أهمية عن دور البقية، فكلنا عيال الله وكلنا خلائق صنعها الخالق، وكلنا كبشر أبناء آدم وحواء عليهما السلام، لنا أب واحد وننتمي إلى أسرة واحدة ولنا رسالة خالدة واحدة مرتبطة برضا الخالق، فإن رضي عنا سعدت بذلك كافة الخلائق وإن لم يرض عنا أفسدنا بها سبل حياتنا.